سعد جمعه ، **ابناء الافاعي** ، (دار الكاتب العربي ، بيروت ، ١٩٧٣)

أريد أن أقول اولا بأن هـذا هو ثالث كتـاب للاستاذ سعد جمعه ، رئيس وزراء الاردن السابق (كما يحرص على ذكر هذا اللقب في صدر كتابه) اقوم بمراجعته ، وبأني اتابع النشاط لهذا المؤلف بتدر لا بأس به من المتعة . واظني لا ابالغ اذا وصفت كتبه بأنها « صيد سمين » للباحث الذي يتمنى ان ينتشله من الانغماس في مراجعة الكتب الجدية المرتبطة باختصاصه ، كتاب يحتوي علـى نثر به درر كهذا الذي يفتتح الكتاب : « هذه الباقة الملمومة من هوامش النكبـة وحواشي المأساة ، أقدمها مشحونة بالاسى معجونة بالمرارة ، مغسولة بالدموع . قد صنعتها من دمي ، بنصها ونبضها ، في مناسبات عابرة تدل عليها تواريخها » . ان الاستاذ جمعه يختص منذ اول كتاب ألفه ، بالندب والنحيب لان « الامة الشريدة الطريـدة المثخنة بجراحها المدماة ، ما زالت [كعهد القارىء بها] تئن ولا من مجيب ، وتشكو ولا من ملب ، وتتلوى ولا من راحم .. » ولذا يكاد القارىء يرى آثار الدموع في كل سطر من سطور رئيس وزراء الاردن السابق .

ان المؤلف ينعي على العرب ميلهم الى اليسار ويرى في ذلك الفاجعة الكبرى . فبالنسبة اليه ، الميل الى اليسار معناه الكفر بالدين والخيـانة للقومية والتنكر للتراث والسير في طريق العمالة . ان جمعه يتمنى ان يتعلم العرب من بن غوريون الذي يورد قوله بأن الدين هو الذي وحد شمـل اليهود وحفزهم على بناء دولة صهيون . كما انه يستشهد بحديث لابنة موشي ديان وصفت فيـه « القوة الروحية الهائلة » التي بثها الحاخام الاكبر في قلوب الجنود الاسرائيليين عشية الهجوم على سيناء عام ١٩٦٧ . ولا يكتفي بهذا القدر للدلالة على ضرورة العودة الى الدين ، بل انه ايضا يثني على شازار وبن غوريون لانهما امتنعا عن ركوب العربات اثناء وجودهما في لندن للاحتفال بدفـن تشرشـل . فقد صادف الاحتفال يوم السبت « فأبى الشيخان اللذان جاوزا السبعين ، ركوب العربات كغيرهما من الوفود ، بل سارا علـى الاقدام ، حفاظا على شعائرهما الدينية التي تحرم استخدام وسائل النقل ذلك اليوم ، مسافة طويلة تزيد على كيلومترين . فلم يتهما بالرجعية والتخلف ، بل استحقا احترام المشتركين ، واثبتا للعالـم أن العقيدة مقدمة عندهما على كل شيء » . وسعد جمعه يقدم هذه الامثلة الاسرائيلية الـى العرب ليقتدوا بها ، لانها في رأيه قمة العظمة . الا انه انتقائي في تبجيله للاديـان ، فاذا كان الديـن اليهودي يفوز بفائق احترامه ، فانه ايضا يكن كل الاحتقار للهنود ، « عبدة الابقار » ، كما يسميهم .

ويشعر سعد جمعه بأن الاسلام في حالة حصار ، اذ يقول : « جميع الاحزاب اليسارية قامت فـي الاساس لمحاربة الاسلام .. جميع الحركات القومية وجدت في الاساس لمناهضة الاسلام » . ولذا فانه ينصب نفسه محاميا للروحانيات ضد الهجوم الذي يتخيله . حتى الجبهات الطلابية التي تساند الموقف العربي يطعن بها لانها تنتمي الى اليسار ، فهو يكتب : « كما تبين عدم اخلاص الثورة الطلابية للمبادىء التي زعمت انها دفعتها الى التحرك ، وهي لا أخلاقية الحرب في فيتنام ووضع حد لمـا يسميه فولبرايت : « قذارة القوة الاميركية » .. **فهم لم يثيروا مرة واحدة الى لا اخلاقية الحركة الصهيونية في الشرق الاوسط ..** » وهكذا ينفـي المؤلف في سطر واحد جميع الجهود التي بذلتها فئات كبيرة داخل اليسار الغربي الجديد في سبيل الدفاع عن القضية الفلسطينية .

ويبدي المؤلف اشمئزازه من الارهاب . فهو عقب حادثة الالعاب الاولمبية في ميونيـخ كتب يقول : « اننا نستنكر الاعتداء على العزل من السلاح ، وننكر النضال القومي في غير ارض المعركة ، لان ذلك لا يورثنا الا الضياع والتبدد والخسران ، في هذا العالم المجنون الضالع مع الباطل ، المجانب للحق .. » وينبغي هنا التذكير بأن الاستاذ جمعه لا يتعاطف كثيرا مع المقاومة الفلسطينية . ففي كتاب سابق له اتهم رجالها بالانشغال عن القتال باقتناء الصور الخليعة !

ان قراءة كتاب لهذا المؤلف تترك انطباعا يمكن وصفه بأنه يشبه الاثر الذي يخلفه فيلم مصري من الاربعينات ، يتناوب فيه يوسف وهبي وأمينة رزق البكاء والنواح ، في نفوس جمهور في السبعينات من هذا القرن . فالكتاب يزخر بالصور الهزلية غير المتعمدة التي تستحق ان تحتل مكانة مرموقة في خانة الادب المضحك . وفيما يلي نموذج على هذه